مجلة الرائد

العدد : ٢٤٧ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٤ هجري ١/٢٠٠٤ ميلادي

حوار حول : "المسلمون في الغرب خلال عام ٢٠٠٣م"	الكاتب : د. أحمد فوزي

أقيمت في المركز الإسلامي في آخن ندوة للحوار ضمت الدكتور نديم عطا إلياس - رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ، والدكتور العربي كشاط - عميد مسجد الدعوة ومدير المركز الاجتماعي الثقافي في باريس ، والأستاذ محمد العروسي - مدير مجلس التعاون الإسلامي الأوروبي .

قام الدكتور زهير الحلبي - مدير الجلسة - بتوجيه الأنظار إلى أن أحداث عام ٢٠٠٣م كانت جسيمة عظيمة ، وكانت ساحتها بشكل رئيسي بلاد المسلمين ، وكان الفاعل فيها هو الغرب والغربيون .

د. العربي كشاط في تداخلاته ركّز على الناحية التاريخية وعلى المكونات الذهنية وخلفيات العقلية الأوروبية ، وأشار إلى أن فهم هذه المكونات يساعد على فهم الأحداث ، وأكّد على أن أوروبا من الناحية التاريخية والجغرافية ليس لها أصول ولا تقوم على أسس متينة ؛ فحدودها لم تكن في الماضي معروفة ، وبداياتها التاريخية بنيت على أساطير واللاتينية والإغريقية - وهو ما تستند إليهما أوروبا - هما في الواقع غريبين عن أوروبا ، وقاما قبل قيامها تاريخياً ، وعلى أطرافها جغرافياً . ثم لفت النظر إلى أن المسيحية - كدين - شرقية آسيوية تبنتها أوروبا في مرحلة متأخرة من تاريخها المضطرب وبذلك يعود الفضل في تقديم المسيحية للأوروبيين للشرقيين العرب والمسلمين ، وهو ما يجب لفت نظر الأوروبيين إليه ليحترموا من قدّم لهم الخير الذي هم عليه وقد كانوا من قبل ما كانوا .

ثم تحدث د. نديم عطا إلياس وأشار إلى شهادة " نيلسون مانديلا " في أن القرن الماضي كان أكثر القرون حروباً ومشادّاتٍ ، ولكن يبدو حسب المراقبين أن القرن الحالي سيكون أشد من سابقه . أما لما كان في العام ٢٠٠٣م في ألمانيا فهي أمور فيها الخير وفيها الشر . أما الشر فهو مما كسبت أيدي الناس ، وأشار إلى أن الوضع في أوروبا عامة يسير في اتجاه تبلور المواقف ، وستكون الفرص متاحة ومفتوحة لمن يعمل ضمن دساتير البلاد ويتكيف مع ما فيها من حريات وضمانات ويكون حريصاً على المجتمع من حوله وعلى التأثير الإيجابي فيه . ولفت النظر أيضاً إلى أن السلطات في هذه البلاد تزيد من رقابتها على المؤسسات الإسلامية ، ولقد كانت حملة مداهمات فتش فيها أكثر من ألف وأربعمائة بيت في ألمانيا - يخص جماعة قبلان التركية المحظورة - هي الأكبر من نوعها منذ الحرب العالمية الثانية في الأسابيع الماضية .

وفي هذا الموضوع تحدث الأستاذ محمد العروسي فأكد على ضرورة النظر لظروف المسلمين في أوروبا من خلال الواقع الدولي عامة وأن الغرب كان ينظر في الماضي إلى المسلمين كمهاجرين وكعاملين متكسبين كغيرهم من الجنسيات ، ولكن العامل الديني بدأ يأخذ بعداً أكبر في السنين الأخيرة نظراً للظروف

حوار حول : "المسلمون في الغرب خلال عام ٢٠٠٣م"	الكاتب : د. أحمد فوزي

السياسية المعروفة ، ولفت الأخ العروسي النظر لوجود توجه عدائي في المجتمع الغربي تجاه المسلمين وهذا التوجه يزيد وينقص حسب الظروف والمعطيات ولا يمكن فصله عن الصراع التاريخي القديم بين الشرق والغرب .. ولكن المؤسسات الإسلامية والجالية المسلمة قد تنبهت لذلك وتحركت الغالبية في اتجاه الانتظام في الوضع الاجتماعي والقانوني تحت مظلة المواطنة .. وذكر بأننا نمر الآن بمرحلة حرب تشريعية أو ما يمكن أن نسميه بالتشريع الانتقائي وآخره موضوع تشريعات الحجاب ، وأشار إلى ضرورة التنبه والوعي في التعامل مستقبلاً مع مثل هذه التشريعات الانتقائية القادمة كما لفت النظر إلى أن الغرب يقوم حالياً بنشاطات وفعاليات ومؤتمرات جدية ومتواترة يدرس فيها الإسلام ويتعرف على نشاطات أصحابه ويعرّف بها ليستطيع التعامل مع هذه الظاهرة في الغرب .

وفي معرض الحديث عن الإرهاب واتهام المسلمين به أشار د. نديم إلياس إلى أن واقع المسلمين في أوروبا وتوزعهم الجغرافي ثم تعدد مشاربهم واجتهاداتهم ، بحيث لا يشكلون جبهة واحدة يمكن محاربتها مجتمعة أو التخلص منها ، يفوّت الفرص على المتربصين ويحول دون إلحاق أذى كبير بهم .. وهنا لا بد من لفت النظر إلى ضرورة التقيد بالقوانين والدساتير المعمول بها في الغرب لتفويت الفرص على من يفكر بالإساءة للمسلمين بوصفهم غير متحضرين أو غير قانونيين .. وأشار الدكتور نديم إلى أنه في كثير من الأحيان يُعمل على تهميش مؤسسات بعينها وتحجيمها لإبعادها عن ساحة التأثير أو للقضاء عليها ولفت النظر إلى أن السعي جاد في الغرب لإنشاء " الإسلام الرسمي " ، وقد يفلح هذا التوجه إذا تجاوب معه المسلمون وسمحوا به ، كما ويمكن إحباطه بإدراك خطره كصورة رسمية مفروضة على المسلمين .

ورداً على تساؤل حول القضايا الثلاثة التي كان فيها محاكمات وأحكام في العام ٢٠٠٣م وهي : **الحجاب والتعليم الإسلامي والذبح الشرعي** أشار د. نديم إلى أن المسلمين قد توصلوا بمتابعتهم لهذه القضايا إلى إيجابيات كثيرة فالمحكمة الدستورية بحكمها قد أقرت بأن خمسة مستويات من المحاكم قبلها قد أخطأت وسلبت المدرسة المسلمة حقها في الحجاب .. وكذا كان الأمر في إعطاء المسلمين حق الذبح الشرعي .. ورغم أن الحكم في موضوع التعليم الإسلامي في المدارس الألمانية كان سلبياً إلا أن السلطات تشعر بقوة الحق وتسعى وزارة التعليم للوصول إلى حل سلمي وتسوية مع المؤسسات الإسلامية لإيقاف المتابعة القضائية للموضوع ..

ولفت د. نديم النظر إلى أن ردود أفعال السلطات وشخصيات الحكم كانت في كثير من الأحيان غير

حوار حول : "المسلمون في الغرب خلال عام ٢٠٠٣م"	الكاتب : د. أحمد فوزي

متوازنة ومضطربة ومتناقضة وهي إن دلّت على شيء فإنما تدل على أن هؤلاء ليس عندهم مخطط وينقصهم الكثير من المعلومات ويدل أيضاً على توتر في المجتمع الغربي تجاه المشكلات المطروحة عليه .. ولكن القوانين في هذه البلاد تعطي فرصاً وتعطي حقوقاً .. وهناك منصفون في هذا المجتمع متوازنون ومعتدلون ..

والنتيجة : أن الوجود الإسلامي المنضبط القانوني المعتدل هو أكبر سلاح نصل به إلى حقوقنا فلا نحتاج إلى صدام ولا مواجهة ، وبالقانون والانضباط والمطالبة بحقوق الإنسان نصل لما نريد وسيخسر المتشنجون

وتعليقاً على واقع المسلمين بشكل عام والمسلمين في أوروبا بشكل خاص أشار د. العربي كشاط إلى أن ما يجري هنا وهناك وهنالك يدخل في باب النوازل وعندما يستطيع الإنسان أن يتحكم بالأمور ويحكمها يتحكم بالنوازل ، ولكن النوازل اليوم تصنع لنا وتنزل علينا بفعل غيرنا فنحن غير فاعلين إنما منفعلين وحتى نفهم أسباب فعل الفاعلين يجب أن نفهم بواعثهم وعندما نفهم نفوسهم وخلفياتهم وبواعثهم نستطيع التعامل ونكون في وضع يمكننا من تصويب الخطأ في سلوكياتهم .

وأكد د. العربي على أهمية ما يحمل المسلمين من عقيدة ومبادئ تجعلهم عرضة لما يتعرضون له ، وقال : إن الأحجار لا تلقى إلا على الأشجار العالية المثمرة ، والشجرة المثمرة اليوم هي شجرة الإسلام وليست المشكلة اليوم في الشجرة المثمرة وإنما في نواطير الحقل .

واعتبر د. العربي أن ما يمارس اليوم من ممارسات ضد المسلمين كقضية الحجاب وغيرها هي فرص لإيقاظ النائمين وهزات لعشاق الحرية والعدالة ليتحركوا ويقولوا كلمتهم في هذه القضايا ويدافعوا عن حقوق المرأة المسلمة .. كما أنها فرصة لاستيعاب المسلمين الواقع الذي هم فيه وليبحثوا بهمة ونشاط ، فهناك فسحة واسعة للتحرك ضمن قوانين هذه المجتمعات كمواطنين صالحين لا كمتشنجين حائرين شاتمين ، وسنستطيع عندها أن نحصل على حقوقنا بشكل طبيعي .

وأشار د. العربي بعدها إلى أن هناك مؤسسات قامت في فرنسا من العلمانيين ووقفت ضد هذه العقلية المتطرفة المنحازة وكذلك كانت هناك شخصيات هامة طيبة ممن وقف في وجه تصريحات شيراك الأخيرة على سبيل المثال .

وفي نهاية حديثه أكد د. العربي على ضرورة تعليم الأجيال القادمة بأنها قادرة على صنع الأحداث وأن هذه الأجيال يجب أن توجد في الساحة وتثبت وجودها على أرض الواقع بسلوكها وبأخلاقياتها وبمظهرها

وبحجابها ؛ فالإسلام يدخل من أنوف الأوروبيين وعيونهم وآذانهم كما قال سياسي بلجيكي ، فيجب أن نشكل أنفسنا في هذه المجتمعات ليكون الدخول إيجابياً فعالاً في هؤلاء وفي عقولهم .

ثم عرّج الأستاذ محمد العروسي على أوضاع المسلمين في بلجيكا فأشار إلى أن للمسلمين في هذا البلد الصغير هيئة تمثلهم معترف بها رسمياً وهذا ما يخفف على المسلمين بعض الضغوط هناك ، ولكن رغم ذلك فقد سمح بعض المسؤولين وبعض الأحزاب لأنفسهم أن يشككوا في هذه المؤسسة أو بعض أعضائها .. وقد حققت بعض الاتصالات بهؤلاء إيجابيات وأجبرت بعض الاتصالات آخرين على التراجع عن مواقفهم . وأشار العروسي إلى وجود تطورات إيجابية واضحة في العمل الإسلامي في الغرب عامة وعلى عدة مستويات فالمؤسسات قد تطورت عدداً ونوعاً وكان لها الفضل في بروز المجتمع المسلم في الغرب وتأطيره وهذا مكسب كبير .

ولفت النظر إلى التطورات التي جرت في الجوانب الفقهية والشرعية وإنشاء المؤسسات المناسبة التي تتابع المتغيرات والمستجدات وتوجد الحلول الإسلامية المناسبة لها .

ولفت النظر رداً على سؤال من الحاضرين إلى أن العمل السياسي الإسلامي على شكل أحزاب إسلامية ونشاطات سياسية مباشرة في الغرب غير موجود ؛ إنما الموجود هو مؤسسات ورموز إسلامية تقدم عملاً سياسياً ومواقف سياسية غالبها إيجابي ويفتح قنوات طيبة ، وفي هذا المجال تطور كبير لم يكن في السبعينيات والثمانينيات ، وهناك إدراك لأهمية التواصل والتماس والوصول إلى الآخر وهو تطور بطئ ولكنه مكافئ للإمكانات الحالية للمسلمين .. ولا بد من رفع هذه الإمكانات لتصبح أكثر فاعلية على كل المستويات ..